﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٤﴾ [النحل: 34]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ما وقع هلاك عظيم إلا لذنب عظيم

لمّا أخبرتِ الآية السّابقة عن ظلم المستكبرين لأنفسهم الّذي جلب عليهم غضب ربهم، فأوقع بهم ما العادة أن يقع بأمثالهم مِن هلاك الاستئصال، كالذي وقع بأسلافهم الذين مضوا، وقد فعلوا نفس ما فعلوا مِنَ الكفر باللّه وتكذيب المرسلين، بعد أن بيَّن اللّه لهم الآيات والدّلائل التي تخشع لها الجبال الرواسي، وتلين لها الحجارة القاسية، فلم تخشع لها قلوبهم، ولم تلن لها رؤوسهم، فحقّ عليهم ذاك الغضب ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾، ثمّ جاءت هذه الآية مترتّبة على الآية السّابقة، ومؤكدة لمضمونها، فبيَّنت أنَّ ما أصابهم قد كان بسبب ما اكتسبوه مِن كفر باللّه واستهزاء برسله وآياته.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَأَصَابَهُمۡ﴾: أصلُ الإصابة في الرَّمية ثمَّ اختصَّت بالنّائبة الفادحة، وتُستعمل في الخير والشَّر، قال تعالى: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ﴾ [التوبة: 50]، وقال بعضهم: الإصابة في الخير اعتبارًا بالصَّوْب وهو المطر، وفي الشَّر اعتبارًا بإصابة السَّهم، وكلاهما يرجعان إلى أصلٍ واحدٍ[1]، والمقصود بالإصابة في الآية: اتِّصالُ شَيءٍ بِآخَرَ ووُرودُهُ عليه، والمراد بإصابة السَّيِّئات: إمّا بِتَقْدير مُضافٍ، أي: أصابَهُم جَزاؤُها، أو جُعِلَتْ أعْمالُهُمُ السَّيِّئَةُ كأنَّها هي الَّتي أصابَتْهُم[2].

(1) مجاهد، تفسير مجاهد، ص: 407، وابن جرير، جامع البيان: 16/ 458، والراغب، المفردات: (صوب)، والرازي، مفاتيح الغيب: 19/ 43.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 146.

2) ﴿وَحَاقَ﴾: أصلُ (حيق): كلمةٌ واحدةٌ، وهو نُزولُ الشَّيءِ بالشَّيءِ، يُقالُ: حاقَ بهم الشَّرُّ يَحِيقُ حَيقًا وحيقانًا وحيوقًا[1] إذا نزَلَ، قالَ اللّه تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: 43]، وحاقَ: أحاطَ، والحَيْقُ: الإحاطَة؛ ثُمَّ خصَّ الاستِعمالُ الحَيْق بإحاطَةِ الشَّرِّ[2]، وهو المرادُ هنا في الآية.

3) ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أصلُ (هزأ) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ تدلُّ على السُّخرية. يُقالُ: هَزِئَ واسْتَهْزَأ، إذا سَخِرَ. هَزِئَ به يَهْزَأُ، وهَزَأ، واسْتَهْزَأ، وتَهَزَّأ به[3]، ورجل هُزَأَةٌ: يَهْزَأ بالنّاس، وهُزْأة: يُهْزَأُ مِنْهُ[4]، والهُزْءُ: مزحٌ في خِفْيَةٍ، وقد يُقالُ لما هو كالمزح، فممّا قصد به المزح قوله: ﴿ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة: 58]، والاسْتِهْزاءُ: ارتيادُ الهُزُؤِ وإن كان قد يُعبَّر به عن تعاطي الهزؤ، كالاستجابة في كونها ارتيادًا للإجابة، وإن كان قد يجري مجرى الإجابة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التّوبة: 65]، والاستِهْزاءُ من اللّه في الحقيقة لا يَصِحُّ، تعالى اللّه عنه، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: 15] أي: يجازيهم جزاء الهزؤ[5]، والمرادُ بالهُزْءِ في الآية: المُبالغَةُ في السُّخريةِ والاستخفافِ بالغَير.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ظُلم النَّفس بعمل السّيئات، والإصرار عليها، سببٌ في وقوع العذاب

يقول اللّه تعالى: فأصابَ أولئك الكافرينَ من الأُمَمِ الماضيةِ - الذين فعَلوا فِعلَ مُشركي قُرَيشٍ - عُقوباتُ كُفرِهم، وأعمالِهم السَّيِّئةِ التي اكتَسَبوها، ونزَل بالكافرينَ وأحاطَ بهم عذابُ اللّهِ

(1) ابن دريد، المحيط في اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (حوق).
(2) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة: (حوق)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 146.
(3) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة: (هزأ).
(4) الخليل، العين، وابن سيده، المحكم: (هزأ).
(5) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (هزأ).

الذي كانوا يَسخَرونَ منه، ومِن الرُّسُلِ إذا توعَّدوهم به[1]، وهذا بيان كاشف لما حلّ بهؤلاء الظّالمين من بلاءٍ، وأنَّ هذا الَّذي نزل بهم هو من آثار ما عملوا من سوءٍ، ومِن معقبات مكرهم بآيات اللّه، واستهزائهم برسله؛ وفي هذا تهديدٌ للمُشركين الَّذين يحادّون رسول اللّه، ويهزؤون بآيات اللّه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة العطف بالفاء في ﴿فَأَصَابَهُمْ﴾:

عقوبتهم مُترتّبةٌ على أفعالهم الّتي اكتسبوها

الفاء في قوله: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ بيّنت أنّ ما أصابهم مِن هلاك عاجل سريع بعد تأكّد إصرارهم على كفرهم وتكذيبهم، إنَّما هو عقاب مستحقٌّ ومترتب على ما قدَّموه.

إيثار لفظ الإصابة مجموعًا:

هلاك الاستئصال، لا يستثني أحدًا

أوثر الجمع في الفعل ﴿فَأَصَابَهُمْ﴾ لكون هلاك الاستئصال لا يستثني أحدًا، فإنه لا يبقي ولا يذر، كالذي حصل مع أهل القرون السابقة من المكذِّبين والجبّارين الذين ذكرهم اللّه تعالى في قوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: 40].

بلاغة تقدير المضاف بين الحذف والمجاز:

الجزاء مُكافئٌ للسّيئات بلا زيادة، وهو مُسبّبٌ عنها

في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ بلاغيًّا أكثر مِن وجه:

الأوّل: أنّه على تقدير مضاف محذوف، والتّقدير: ﴿فَأَصَابَهُمْ﴾ جزاء ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ وعلى هذا فالسّرّ في حذف المضاف مع بقاء المضاف إليه؛ هو الإشارة إلى أنّ الجزاء كالسّيئات تمامًا،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 215، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 103.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 7/ 294.

مكافئ لها بلا زيادة، وفي ذلك إشارة إلى تمام المعادلة بين العمل وجزائه حتّى جعل الجزاء نفس العمل، حتّى كأنّه هو، على حدّ قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التّوبة: 35][1] فاللّه تعالى (العدل) الّذي لا يظلم أحدا شيئًا، بل إنّه يتفضّل بمضاعفة الحسنات، أما السيئات فلا مضاعفة فيها، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: 160].

الثّاني: جواز حمل قوله: ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ على المجاز العقليّ، ويكون بالنّظر إلى إسناد الإصابة إلى السّيئات، بجعل أعمالهم السّيئة كأنّها هي التي أصابتهم؛ لأنّها سبب ما أصابهم[2].

الثّالث: جواز حمله على المجاز المرسل، وذلك بالنظر إلى لفظ ﴿سَيِّـَٔاتُ﴾ باعتباره سببًا للجزاء، فيكون مِن باب إطلاق السبب وهو السّيئات، وإرادة المُسبَّب وهو الجزاء، وفيه دلالةٌ على فظاعة الجزاء، وحصرٌ لكونه مسبّبًا عنِ السّيئات التي فعلوها لا غير، ورجَّحه أبو السّعود على وجه تقدير المضاف وعلّل رجحانه بأنه - أي وجه تقدير المضاف - يوهِم أن لهم أعمالًا غيرَ سيئاتهم[3]، ولا يمنع أن يكون لهم بعض الأعمال غير السيئة من صلة رحم ونحوه، لكنّه لضآلته ولعدم الاعتداد به كأنه لا عملَ حسنًا لهم أبدًا.

الرابع: حمل اللفظ على المشاكلة[4] وهذا على جعل ﴿سَيِّـَٔاتُ﴾ هو الفاعل بدون تقدير مضاف، ويكون إطلاق السيئة على جزائها مِن باب المشاكلة، كالتي في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ﴾ [الشورى: 40].

نكتة جمع السّيئات:

السّرّ في جمع السيئات هو بيان أن اللّه تعالى لا يعاجل الناس بالعقوبة لمجرد فعل سيئة، وإنما يمهلهم ويمنحهم الفرص ليعودوا إليه، ويقلعوا عمّا هم فيه، فإذا تمادوا في غيّهم ولم يكن ثمت ما يردعهم عن هذا التمادي؛ فإنّهم حينئذ يكونون أهلًا لذاك

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنّوير: 25/ 374، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4171.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنّوير: 14/ 146.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 111، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 374.
(4) الطيّبي، فتوح الغيب: 9/ 114، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 374.

العقاب، ولذلك فإنّ نبي الله نوحًا ﷺ بعد أن أمضى تسعمائة وخمسين سنة يدعو فيها قومه إلى التّوحيد، فلم يزدادوا منه إلا بعدًا ونفورًا وغرورًا، وكان قد أعلمه ربُّه بعدم إيمانهم، كما أخبر تعالى عن هذا بقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: 36] فتيقن ﷺ عدم إيمانهم، وانقطعت كل الآمال في سبيل هدايتهم، هنا دعا عليهم بهلاك الاستئصال، الذي بيّنه الله تعالى في قوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: 26].

لا يعاجل الله تعالى بالعقوبة، حتى يرى الإصرار والتمادي

وجه تعريف السّيئات بالإضافة إلى الموصول:

عرّف السّيئات بالإضافة إلى اسم الموصول، للتّعيين والتّخصيص، أي: لحصر سبب ما وقع لهم من هلاك فيما قدّمته أيديهم مِن أعمالهم القبيحة الشنيعة التي دلّت عليها جملة الموصول.

علّة هلاكهم ما قدّمته أيديهم

إيثار الموصول ﴿مَا﴾ في سياق الآية:

أوثِرَ اسم الموصول ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾؛ لكونه أخصر وأجمع، فهو يشمل كلّ ما يصلح للدّخول تحته مِن أعمالهم التي كانت سببًا لهلاكهم؛ بما تحتمله (ما) من دلالة التنوّع، والكثرة، والعموم.

تعدّدت سيّئاتهم، وتنوّعت، فكانت وبالا عليهم

علّة العدول من (فعلوا) إلى ﴿عَمِلُوا۟﴾:

آثرَ الفعل ﴿عَمِلُوا۟﴾؛ لأن المقام هنا مقام جزاء وحساب، والله تعالى لا يحاسب إلا على ما كان مقصودًا، أما ما يقع مِنَ العبد على غير قصد فمعفوٌّ عنه، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: 5]، ولما كان لفظ العمل أدل على القصد مِن لفظ الفعل، كان حريًّا أن يكون التّعبير بـ ﴿عَمِلُوا۟﴾ لا بما (فعلوا) فالفعل أعم من العمل؛ لأنه يشمل ما

كفرهم وتكذيبهم كان فيهم سجيّة وطبعًا

كان مقصودا وما كان غير مقصود، بخلاف العمل الذي ينحصر معناه فيما كان مقصودًا وكان له أثر[1]، وأي أثر أعظم مِن كفرهم وتكذيبهم الذي كان فيهم سجيَّة وطبعًا؟

التّعبير عن عملهم بالماضي المجموع:

التّعبير بالماضي عن عملهم يدلّ على تحقق تلبسهم بما كان سببا لهلاكهم

أسند العمل إلى الجماعة، وبصيغة الماضي ﴿عَمِلُواْ﴾؛ للدلالة على تحقّق تلبسهم بما كان سببًا لهلاكهم، ووقوعه منهم وقوعًا مؤكدًا، سواء مِن جميعهم أو مِن أكثرهم؛ لأن هلاك الاستئصال عقابٌ جماعيٌّ، يُهلك به اللّه من يشاء من عباده عندما يطبقون على الكفر والظلم، ويبالغون في التنكُّر لما أمر اللّه مع عدم الاعتبار بأمره سبحانه ونهيه، وعندما لا يتمعَّر وجه الصّالحين منهم غضبة للّه وإنكارًا عليهم، وقد قال سبحانه في هذا: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: 25] ولحديث أم المؤمنين زينب بنت جحش ﵂ قالت: يا رَسولَ اللّه أنَهْلِكُ وفِينا الصّالِحونَ؟ قالَ: "نَعَم إذا كَثُرَ الخَبَثُ"[2].

دلالة العطف بالواو، في سياق الآية الكريمة:

أشدّ العذاب أن يرتدّ عليك عملك في الدنيا عقابًا في الآخرة

الواو عطفت جملة ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ على جملة ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾، ليجمع لهم بين إصابة السّيئات، وإحاطة الاستهزاء بهم مِن جميع جوانبهم هلاكًا يُفني، وحتفًا يردي، دلالةً على شدّة عقابهم، وأليم عذابهم مُمثّلين باستهزائهم بالشريعة، والنّبي ﷺ وبالعذاب الموعود، وذلكم أشدّ العقاب، وأخزاه.

إيثار لفظ ﴿وَحَاقَ﴾ ماضيًا:

نزل الهلاك بهم على وجه أحاط بجوانبهم

معنى (حاق) أحاط، ثم خصّ استعماله بإحاطة الشّر، لا الخير، وأصله: حَقَّ، بمعنى وجب، فأبدل أحد حرفي التّضعيف حرف علّة

(1) الراغب، المفردات: (عمل).

(2) أخرجه البخاريّ، كتاب: المناقب، باب: علامات النّبوّة: 4/ 198.

تخفيفًا[1] وفي إيثار التَّعبير به ما يُفيد أنّ الهلاك قد نزل بهم على وجه أحاط بجوانبهم، بحيث لا يستطيعون الإفلات منه[2]، ومِن ثمّ كان التَّعبير به أبلغ مِنَ التَّعبير بالإصابة - ونحوها - وأفظع[3]، وفي سرّ اختيار صيغة الماضي ما أفاد تحقق وقوع الجزاء بهم بسبب استهزائهم بوعيد المرسلين لهم وتحذيرهم مِن مغبة الكفر والاستكبار مُلَوِّحين لهم بعذاب الاستئصال، على نحو ما قال كفار مكة فيما حكاه القرآن عنهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾ [الأنفال: 32].

دلالة شبه الجملة ﴿بِهِم﴾:

دلَّ شبه الجملة ﴿بِهِم﴾ على اختصاصهم بالعذاب المنزَّل، بحيث لا يتعداهم إلى غيرهم؛ كما قال تعالى عن قوم لوط ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ﴾ [هود: 82 - 83] أي: هذه الحجارة معلَّمة بحيث تعرف مَن تُصيب.

الدّلالة على اختصاصهم بالعذاب

سرُّ إيثار الموصول ﴿مَا﴾:

﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾، إمّا موصولة، وهي عبارة عن الأعْمال كما قال سيئات أعمالهم، وإمّا مصدرية، والمعنى: كسبهم، واستهزاؤهم[4]، وإيثار الموصول ﴿مَا﴾ دون غيره، لما يدلّ عليه مِن شمول وعموم مع الإيجاز والاختصار، فكانوا يستهزئون بكثرة، وبكلّ آيةٍ.

تدلّ (ما) على عموم ما عملوه

وجه التَّعبير بفعل الكينونة ماضيًا مجموعًا:

أمّا عنِ التَّعبير بفعل الكينونة الماضي المجموع في قوله: ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾؛ لأن المراد بهذا القول التَّعبير عن حالهم التي كانوا

حالة الاستهزاء هذه، كانت في طبعهم ومستمرّة معهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنّوير: 7/ 148، 14/ 146.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 203، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 148.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 111.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 544.

عليها في الدّنيا وتحققوا بها، مِن الاستهزاء باللّه ورسله، وأن حالة الاستهزاء هذه كانت حالة مستمرة معهم حتّى إنه يمكن وصفها بالسجية والطبع والعادة.

نكتة حذف المضاف:

وجه الحذف المساواة بين الجزاء والفعل

حذف المضاف - على القول به - للإشارة إلى المساواة بين الجزاء والفعل، كأنّه هو[1]، أو أنّ ﴿مَا﴾ مصدريّة ورجّحه القونويّ[2]، بناءً على عدم الحاجة إلى تقدير مضاف محذوف بناءً عليه.

سرّ تقديم شبه الجملة (به):

التقديم للنّصّ على السّببية، ولرعاية الفواصل

قدَّم شبه الجملة (به) على العامل ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ للنصّ على السّببية بوصف مادّة استهزائهم وكيفيّتها هي علّة هلاكهم؛ فضلًا عن رعاية الفواصل[3].

إيثار فعل الاستهزاء دون الإنكار:

الاستهزاء أشد وأفظع من الإنكار

قال: ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ دون (ينكرون)؛ لأنّ الاستهزاء أشد وأفظع من الإنكار، فهو يتضمنه ويزيد عليه سفاهة وغرورًا واستكبارًا، وكل واحدة مِن هذه كبيرة مستقلة، وقد قال اللّه تعالى في أمثالهم من أهل الاستهزاء على وجه التهديد والوعيد: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: 65].

ثمّ إنّ المنكر الكافر الّذي لا يتعدّى أمره إلى الاستهزاء قد يؤجِّل اللّه عقابه إلى يوم القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود: 117] والمراد بقوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ [هود: 117] أي بشرك[4]، بخلاف المستهزئ فإنه حري بأن يعجَّل عقابه في الدنيا كما دل عليه النص الكريم.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4171.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 267.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 147.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 530.

نكتة التَّعبير عن فعل الاستهزاء مضارعًا مجموعًا:

في التَّعبير عن استهزائهم بصيغة المضارع وإسناده إلى جميعهم، ما يدلّ على أنّهم كانوا مُطبقين عليه، ومستمرين في نفس الوقت بحيث يجددون العهد به دائمًا، ويصطنعون له الفرص التي تدعوهم إلى تكراره.

تـــمـــادوا بـالاسـتـهـزاء، وجـدّدوا العهد به

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(حاق) و(نزل) و(حاط):

في الفرق بين (حاق) و(نزل) ذكر العسكري: أن النُّزول عام في كل شَيْء يُقال: نزل بِالمَكان، ونزل بِهِ الضَّيْف، ونزل بِهِ المكروه، ولا يُقال: حاق إلّا في نزول المَكْروه فقَط. تَقول: حاق بِهِ المَكْروه، يَحِيق حيقًا وحيوقًا، ومِنْه قَوْله تَعالَى: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يعني العَذاب؛ لأنهم كانوا إذا ذكر لَهُم العَذاب استهزأوا بِهِ، وأرادَ جَزاء استهزائهم[1]، فمعنى (حاق): أحاط، ثم خصَّ استعماله بإحاطة الشر، لا الخير.

(نـــزل) أعـــمّ الثّلاثة، و(حاق) أخصّها و(أحاط) وسط بينهما

وأمّا (أحاط)؛ فأصله الطواف حول الشيء، والمُحِيط بالشيء هو المطيف به من حوله بِما هوَ كالسور الدائر عَلَيْهِ، يمنَع أن يخرج عنه ما هوَ مِنْهُ، ويدخل فِيهِ ما لَيْسَ فِيهِ[2]، ولا فرق في معنى الإحاطة بين أن تكون في خير أو شر.

وفي إيثار التَّعبير به هنا في الآية ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ما يفيد أن الهلاك قد نزل بهم على وجه قد أحاط بجوانبهم، بحيث لا يستطيعون الإفلات منه[3]، وعلى هذا، فـ (نزل) أعم من (أحاط) و(حاق)، و(حاق) أخص منهما؛ لأنه يطلق فقط على الإحاطة في الشر.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 304.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 94.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 203، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 148.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»